VOYAGE EN GRÈCE 1947

BERNARD GUYON

رحلة فى اليونان عام ١٩٤٧

الأربعاء ١٧ : الرحيل إلى ديلوس . ها نحن أولاء على ظهر السفينة الخلفى نتطلع لأول مرة إلى منظر أتيكا ، ونضع أخيراً هذه الأسماء العظيمة على مكانها من الأرض : الأكروبول ، ليكابت ، البرنس ، البنتيليك ، القمم الايجلية Monts Egaléens ، سلامين . أشار لى شخص إلى ذلك المضيق الصغير الذى بدا فيه لأول مرة انتصار الحرية على الاستبداد فى مظهر متواضع ولكن فى معركة حاسمة . وعند مخرج الميناء يتسع المنظر ، وحين تبرز عند الأفق دور أثينا المنبسطة على الجبال ننعم النظر فى شبه جزيرة أتيكا الطويل ، ثم نلمح على بعد أول جزر السيكلاد Cyclades . ذهبت أثرثر بضع لحظات مع الأستاذ ج . . . الذى لا يمل إلقاء الخطب لمن يريد سماعها . إنه يسرد علىّ سنواته التى قضاها فى أمريكا ، ويؤكد الأهمية التى يعلقها الأمريكيون على الدين ، ويوضح بهذا معارضتهم القوية للشيوعية السوفيتية وبالتالى موقفهم الواضح فى صف الحكومة اليونانية الحالية ضد قوات المقاومة . إنه يكلمنى ، وبالطبع يكلمنى فى هذه المسألة خاصة . هذا الرجل يحب اليونانيين حقا كما لو كان أحدهم . وقد جاء ، كما قال لى ، فى مهمة مراسلة جريدة المساء ببروكسل . ولم يكتف بمحاولة النظر فى الموقف نظراً جليا ، وإنما أراد ، وقد كوّن لنفسه رأياً ، أن يجعل من يلقاه من اليونانيين ، يشاطره هذا الرأى

هذا المقال كتب خاصة لمجلة « الكاتب المصرى » .

كتبت هذه الصفحات فى آخر الصيف الماضى بمناسبة رحلة قام بها الكاتب فى اليونان . وقد دبرت له الظروف الملائمة مقابلات ومخاطرات مثيرة . فدون انطباعاته وذكرياته فى الحال فى يوميات رحلته ، وتفضل فأرسل إلينا بعض أجزائها . وعلى القارىء ألا يظن أنه سيجد هنا دراسة عميقة لحال الشعب اليونانى البائس ، وإنما سيجد شهادة نزيهة ، شهادة تساعد على فهم حالة معقدة ، تصورها لنا شهوات جامحة لاتبالى الحقيقة . (هيئة التحرير .)

الذى نستطيع التنبؤ إذا عرفنا أن صاحبه بلجيكى من أصل كاثوليكى وأن ميوله حرة . ومن ناحية أخرى ، لم يشق على هذا المؤرخ أن يكتشف فى هذا الشأن أخطاء من الجانبين ، كما يحدث فى كل عمل إنسانى . وقد أخذ على نفسه اذن أن يبسط ذلك لاناس دوى شهوة ، أناس أضمر بعضهم لبعض بغضاً قاتلا . واعترف لى بصراحة ، أنه قد أخفق فى مجهوداته من أجل التوفيق ، واعتبر الموقف مؤسفاً . وكان هو أول من كلمنى عن « حوادث ديسمبر » . كنت أجهل ذلك الشهر الذى يعتبر شهراً رئيسيا فى تاريخ اليونان المعاصر . فهو بمثابة هوة : كان ذلك فى سنة ١٩٤٤ بعد التحرير بقليل . وكانت فى الحكم حكومة ائتلاف وطنى . فماذا حدث بالضبط ؟ ذلك أمر تصعب معرفته . فهل المظاهرات مدبرة ؟ هل هى محاولة ثورة من جانب ليسار ؟ أهو انقلاب من ناحية اليمين ؟ المؤكد هو أن الدم اليونانى قد جرى غزيراً طيلة أيام الحرب الأهلية وأن القوة بقيت فى الحكم ، أى إن القوة صارت إلى حكومه من اليمين لم يكن لها هم منذ ذلك الحين إلا أن تقتل الثورة . فانتهجت سياسة انتقام ونفى وتفتيش بوليسى . وبينما كان أكثر أولئك المنفيين أو المشردين من الماكى[1] ذوى الميول الشيوعية ، إذا الذين دُعوا إلى الحكم رجال أشداء ألفيناهم — كما لو كان ذلك مصادفة — من بين مشاهير المتعاونين مع الألمان . ومن هنا نشأت الحرب الأهلية . وقد قررت عناصر اليسار أن تنظم حكومة ثورية تعتمد على جماعات مسلحة تحتل بعض المناطق الجبلية وخاصة فى الشمال فى منطقة البارناس وفى المنطقة الجبلية فى الوسط أيضاً فى البلوبونيز . وأرادت الحكومة الأمريكية أن تقف هذه الحرب الأهلية فأرغمت أخيراً حكومة تسالداريس ، وهى حكومة من أقصى اليمين ، على الاستقالة ، ودفعت إلى الحكم رجلا من الأحرار هو سوفوليس ، فأصدر فى الحال عفواً سياسيا ظهر أنه — مع الأسف — دواء مسكن فحسب ولم يؤد إلى النتائج المرجوة منه .

أثينا يوم السبت ٢٠ : علينا أن نستوفى أوراقنا لدى الشرطة . أخذنا موعدا مع ب . . . فى أمونيا . وقبل أن أصعد فى الترام الذى يوصل إليها

---

(١) الماكى Maquis اسم يطلق على جماعات المقاومة للاحتلال النازى (المترجم) .

سمحت لنفسى بشئ من الترف ، فاشتريت جريدة إذ أردت أن أختبر فى اللغة اليونانية الحديثة معرفتى باللغة اليونانية القديمة . ولما كنا قد قابلنا أمس على الباخرة صحفيا قال لنا إنه يعمل بجريدة حرة مؤيدة لسوفوليس اسمها «إليتاريا»، فقد طلبت ذلك الاسم من البائع فأجابنى أنها ليست معه، واقترح علىّ صحيفة أخرى قال إنها من اللون السياسى نفسه ، وما كاد ب . . . يرانى حتى قال لى ، وعلى شفتيه بسمة فيها شئ من السخرية وشئ من القلق : إنى أحمل بشكل واضح جدا جريدة شيوعية (وللجرائد الشيوعية الحق فى الظهور) وإحداها تحمل أيضا اسم : إليتاريا فى عنوانها (١) فأخفيت بعناية الصحيفة الخطرة . وذهبنا إلى إدارة البوليس ، وهى مكان قذر بعض الشئ ، سئ النظام بعض الشئ ، ولكنه لا يزيد فى ذلك كثيرا عن مثيله فى فرنسا . وقد كلمنا القوم بالفرنسية ، على أن ب . . . يتكلم اليونانية بسهولة . وأنجزوا لنا أوراقنا بظرف فائق وبسرعة مناسبة . ولكن الأمر شديد التعقيد ، فعلينا الحصول على ترخيص بالاقامة ، ثم ترخيص بالخروج . (وكان من الممكن إعطاؤه لنا فى الحال) ، ثم (وهنا النقطة الدقيقة) « تراخيص خاصة » للذهاب خارج أثينا . ولم نكن قد صممنا بعدّ على خطة معينة ، وكنا مترددين بين نزهة فى البلوبونيز : أرجوس وألبيا الخ . . . وبين نزهة فى دلف Delphes وكانت هذه الرحلة الأخيرة تغرينا كثيرا ولكن كان فيها بعض الأخطار ، لأن قرية دلف فى أيدى « الأندرتس » أى المقاومين . وقد دهشنا جدا لأنهم صرحوا لنا بالذهاب إلى دلف . ولا شك أن ذلك كان بصفتنا أجانب وبصفتنا علماء آثار ، وربما كان مبعثه أيضا الرغبة فى الاعتراف أمامنا بأن تلك المنطقة غير خاضعة لسلطان الحكومة . كل شئ إذن مستوف ، ويمكننا أن ننصرف إلى غير ذلك من الأمور .

السبت ٢٢ : قررنا أخيرا السفر إلى دلف وعدلنا عن زيارة أرجوس وألبيا . لقد سافرت إلى هناك سيارتا أجرة منذ يومين حاملتين بعض الزملاء من المدرسة . وستنتظرنا إحداهما لنعود بها برا إلى أثينا . وسافرنا عن طريق كورينثه وإيتيا Itéa .

---

(١) ألغى هذا الحق حديثا ، فى أكتوبر سنة ١٩٤٧ .

وركبنا القطار دون كبير جهد إلى كورينثه . وتم تفتيش أوراقنا ، وهى مستوفاة بسرعة . هناك عدد كبير من الناس ولكن الجميع يجدون مكانا لهم فى هذا القطار المتواضع ذى الدرجة الواحدة . وعند ما ذهبنا لنجلس فى ديوان خال ، أشارت لنا فتاة جذابة ، متواضعة فى مظهرها ولكنها فى الوقت نفسه تفيض حياة ، ودعتنا إلى الجلوس معها . وفهم ب . . . سريعا أنها تسافر وحيدة ، وأنها تريد أن تكون تحت حمايتنا بدلا من أن تكون تحت حماية الجنود الذين يملأون هذا القطار ، وهى حماية غير مطمئنة . وكان يصحبها والدها ، رجل ممتاز وسيم ، وقبلت الفتاة يده باحترام ثم قبلت وجنتيه فى حب عند ما حانت ساعة الرحيل . وهذه الرفيقة الرشيقة ستتكلم طول الوقت مع ب . . . حتى كورينثه . وهو نفسه سيلعب دور المحامى بجد كثير مما سيعرضه لبعض السخرية منا . وجاء إلى ديواننا بعض المسافرين وكان شكلهم يثير التساؤل ، ثم فهمنا بعد لأى أنهم فريق من الممثلين وبينهم بضعة جنود توسط أحدهم فى ود صدر إحدى زميلاته ، وربما كانوا ذاهبين للترفيه عن الجنود الذين يطاردون الثوار فى جبال البرناس . وكان بينهم صبى حديث السن يقوم بدور البهلوان ، وأرانا وهو فخور بعض صور أخذت له أثناء القيام بحركاته . وكانت فى الممر الخارجى ممثلة الأوبرا تغنى أدوارا عظيمة ويصاحبها مغن طويل سمين يرد عليها وهو يتلوى فى بذلته الزرقاء الصارخة . لقد كنا فى عربة تيسبيس[1] Théspis . ولم تمنعنا بهجة رفاقنا من أن نتطلع إلى تعرجات الكورنيش الذاهب من ألوزيس إلى ميجار d'Eleusis à Mégare ومن ميجار إلى كورينثه ، ولا من أن نمتع النفس فى كل محطة بتناول النوار وعناقيد العنب المليئة التى يعرضها علينا عديد من الباعة الجائلين . وقد تطلعنا إلى مضيق كورينثه وإلى القناة الدقيقة التى تخترقه باهتمام عظيم . ولم يجد الألمان مشقة فى سدّها عند رحيلهم . وهى لا تستخدم منذ ذلك الوقت . ولهذا كان لابد لمن يريد السفر بحراً إلى باتراس وكورفو من أن يركب أولاً القطار من أثينا إلى كورينثه .

وتناولنا فى الميناء بعض الحلوى قبل أن نركب المركب ، ورأينا والقلق

---

(١) تيسبيس شاعر يونانى قديم ، خالق المأساة لدى اليونانيين (المترجم) .

يخامرنا طوائف من الجند تسير فى اتجاه رصيف السفر ، وكانوا مزودين بالأسلحة ، ويسيرون فى نظام حسن . ليس هناك شك فى أنهم سيركبون نفس المركب التى سنستقلها ، إذ ليس هناك مركب أخرى ، وهى ليست كبيرة . فلنسرع إلى اتخاذ أمكنتنا بها . وقد أبعدنا أول الأمر ، ولكنا رأينا عن بعد بعض الصيادين ينقلون المدنيين فى قوارب صغيرة تسير بالمجاديف حتى توصلهم إلى الباخرة وهى ليست بعيدة وتبدو ثابتة لا تتحرك . ولكن الريح قوية والقوارب ذاهبة آتية تتراقص فوق الأمواج الصاخبة ، وما كدنا نجتاز الحاجز الذى كان يحمينا حتى ألفينا أنفسنا نتدافع فى قفزات مخيفة . إنا لا نحس أى ضيق جسمانى، ولكننا فى خوف شديد . أملمنا بنت صغيرة لا تكف عن رسم علامة الصليب ، وأمها تحتفظ أول الأمر بهدوئها ثم لا تلبث أن ترسل صيحات الفزع . وها نحن أولاء بجوار الباخرة . وأصبحنا أكثر هدوءً لأنها تحمينا ، ولكنا للأسف لا نستطيع الصعود لأن قارباً كبيراً محملا بالجنود سد طريقنا . قارب يفوق قاربنا كثيراً فى الارتفاع ورغم ذلك لا يستطيع راكبوه أن يصعدوا إلى الباخرة إلا بمشقة عظيمة فعليهم أن ينتظروا حتى ترفعهم الأمواج إلى الارتفاع المناسب. فإذا نحن صانعون ؟ وأخيراً تصلح الأمور . فيمد لنا سلم متنقل من الباخرة، ويستطيع الكل أن يصعد بمعجزة ، وحتى حقائبنا لحقت بنا . وأسرعنا نصعد إلى عل لنجد على سلم القيادة ، المكان المفضل لدينا ، وسكنت الريح قليلا فقليلا . ثم ختم الليل البهيم . ها هى ذى أنوار المدينة تلمع بعيداً . ما زالت القوارب الصغيرة تعمل حول الباخرة . وأخيراً رحلنا . سنكون فى إيتيا بعد ثلاث ساعات ، حوالى منتصف الليل .

ورحلة الليل هذه ممتعة . البحر الهادىء يرجحنا وترتفع بجوارنا أغنيات شعبية . السماء مشرقة بالنجوم . وعلى جانبى المضيق تنبسط أنوار القرى . نزلت و ب . . . إلى قاع السفينة ، على ما فى ذلك من خطر ، لنبحث عن شئ من الغذاء . يا لها من رائحة كريهة ، ويا لها من فوضى فى الناس وفى المتاع ! وأخيراً كان صيدنا طيباً فتعشينا خبزاً وجبناً ونبيذاً ونحن جلوس على سلمنا .

ولما قاربنا نهاية الرحلة بدأ نغتة ضابط شاب الحديث معنا وكان قد أنصت لنا منذ طويل ونحن نتكلم الفرنسية . وبدا أول الأمر شديد الهجوم « فيمَ

يفكر مراسلوكم الصحفيون حين يذيعون عن بلدنا مثل هذه الشائعات ؟ لماذا يصموننا بالفاشية ؟ إنهم لا يدرون عمّ يتكلمون . إنهم يشهّرون بنا . وسيكون مصير فرنسا أن يبغضها اليونانيون أشد البغض . » وأجبناه فى هدوء ، فلفتنا نظره إلى أن الصحفيين من عجينة واحدة ، وأنه يندر أن يكون بينهم من يعطى عن الأشياء نظرة مضبوطة لا مبالغة فيها ولا تشويه . وقلنا له أيضاً إن صحف فرنسا لا تتكلم جميعاً عن اليونان بهذه اللهجة ، وأنه لو قرأ « الفيجارو » أو « ليبوك » لوجد فيهما أراء عن الحكومة الحالية اليونانية أقل إثارة من التى سبق له قراءتها . وعند ذاك هدأ وبدأنا معه حديثاً طليا . دهش وقلق حين علم أننا ذاهبون إلى دلف وقال لنا : « ستتعرضون لأخطار شديدة ، أولها الألغام التى بثها الثوار فى كل مكان فقد تعثرون بأحدها . وثانياً أن الثوار لا يتثبتون ، فسيرون سيارة تمر ولن يعرفوا أنكم فرنسيون فيصوبون إليكم الرصاص فهم قطاع طرق . » بمَ نجيب عليه ؟ قلنا له فى وجل إننا نقصد أن نرى آثار دلف القديمة . ولكننا لم نطل الكلام فى ذلك فقد أحس ب . . . أن فى ذلك ما يصدمه وما يغضبه ؛ إذ يرى بعض المحظوظين مثلنا يتنزهون ويسيحون فى وقت يعرّض فيه الناس حياتهم للموت فى الحرب الأهلية . ثم تكلمنا عن الموقف العام . ولم يخف علينا — دون أن يقول لنا وجهته بالضبط — أنه يقود فريقاً من الجنود لتقوية جيش الحكومة الذى يقاوم الثوار فى الجبال . وبين الشبان الذى يرافقوننا فريق سيذهب لقضاء فترة تعليمية بمدرسة للضباط قريبة من كورفو .

وقد بدا لنا هذا الشاب شجاعا ذكيا مثقفا (وهو يتكلم الفرنسية بطلاقة إذ تعلمها فى مدارس الفرير) . وقد عبر لنا عن أسفه واشمئزازه من المهنة التى لا بد له من أن يمتهنها ، ولكنه بين لنا ضرورتها لأن الثوار فى نظره لا يدينون بشئ من الوطنية ، ولكنهم شيوعيون باعوا أنفسهم لموسكو والاستعمار الروسى ، أو لأنهم بكل بساطة قطاع طريق . ولما سألناه عما يراه أو عما يرجوه فى سياسة الحكومة الجديدة ، وعن رأيه فى قرار العفو الذى أصدرته ، قال لنا بلهجة تنم عن السخرية : إنه لم يلزم لسوفوليس أكثر من أربع وعشرين ساعة لتذهب آماله . فمن المؤكد أنه لن يستسلم أحد من الثوار ، إما تعصبا أو خوفا من الانتقام ؛ فهو لذلك يائس . وقال لنا

بمرارة إن الشعب اليونانى يحقد على الانجليز لأنه يعدّهم مسئولين عن تلك الحال (بسبب موقفهم المتناقض) ، وأنه يتعلق بالأمريكيين تعلق الغريق بالثُّمام . ويلغ به الأمر أن يقول هذه العبارة الشنيعة : « إننا نرجو أن تأتى وشيكا الحرب العالمية الثالثة . » فإذا نستطيع أن نقول لهذا الشاب الذى يسير للقاء الموت والذى يذهب إليه يائساً ؟ لقد رجونا له ، رغم كل شئ ، حظا سعيداً ، وتركناه بعد أن عبّرنا له عن حبنا لليونان وعن رغبتنا فى أن يعود إليها السلام .

نحن الآن فى منتصف الليل . هاهى ذى أنوار ميناء إيتيا الصغير . أننزل إلى الأرض ؟ لقد برد كلام ذلك الشاب حماستنا لرؤية الآثار . وسيقول لنا ب ... فيما بعد إنه فكر أن نواصل الطريق إلى مكان أكثر أمنا . ولكننا قررنا رغم كل شئ محاولة القيام بتلك المخاطرة . ولكن أيُسمح لنا بالمرور ؟ على رصيف الميناء ترتسم أشباح الجنود ورجال الجندرمة . وما كدنا نضع أقدامنا على الأرض حتى أشار لنا ضابط من « الجندرمة » بأن نبقى بعيدين . إنه سيفحص حالتنا عما قليل . وبينما نحن فى انتظار تكرمه علينا بذلك ، أرسل الله لنا العون فى صورة فتى جذاب وجدنا بسرعة وقال لنا إنه مرسل من قبل زملائنا فى دلف ليوصلنا فى اليوم التالى بالسيارة إلى المعبد ، وأخبرنا أيضاً أنه حجز لنا ثلاثة أسرة بأحد فنادق تلك المدينة الصغيرة . لقد نجونا . ثم رأيت ب . . . يخاطب شابا أمرد باحترام عظيم ، وكان ذلك الشاب يبدو لى قليل الخطر فسألت ب . . . : « من هذا الشخص ؟ » فأجابنى باختصار : «إنه شخص يحمل بندقية.» وفهمت . . . أنه شاب من « المليشيا » التابعة للجيش النظامى . وأثناء ذلك كان ضابط « الجندرمة » قد انتهى من فحص حالة المسافرين الآخرين ، فاقترب منا وسمح لنا أن نذهب لننام . وسيذهب ب . . . غدا لمرؤيته قبل سفرنا . يا للعجب ! يظهر أنه على صلات طيبة مع دليلنا الآتى من منطقة الثوار . ولكنه عجب لن ينقضى .

لم نكف منذ أقمنا عن إبداء عجبنا لـ ب . . . من وجود فنادق ومطاعم ملائمة فى كل مكان باليونان ، والآن سُر ب . . . فى أعماق نفسه لأنه سيرينا فى هذه الرحلة أسرة لا يستطاع النوم بها وأطباقا لاتؤكل ، وهى أسرة وأطباق الفنادق اليونانية الحقيقية . ولكن خاب فأله ؛ إذ يجب أن نقول : لئن كانت

غرفنا بسيطة بساطة غرف الرهبان . فانا لم نر بها أية حشرة تضايقنا أثناء ليلتنا القصيرة ، وهكذا نمنا فى فراش نظيف . لقد استفادت اليونان كلها من تطهيرها بمادة د.د.ت. وفى هذا على الأقل نعمة جنوها من وجود الامريكيين . حقا لقد كان الماء غير كاف ، ووسائل الراحة لا وجود لها . كما أن قطان هذا المنزل لم يكفوا طول الليل تقريبا عن الكلام و إثارة الضوضاء . على أن هذه مصائب هينة . وفى اليوم التالى كنا على استعداد « لاختراق الخط » بعد أن استرحنا .

الثلاثاء ٢٣ : تم ذلك الاختراق بكل سهولة . ذهب ب . . . لرؤية ضابط الجندرمة ، فقال له : لا ! «لا أستطيع منعك من الذهاب إلى دلف بعد أن سمحت لك السلطات فى أثينا . ولكنى لست مسئولا عما يحدث لك . فليست هناك سلطة حكومية ولا أية سلطة أخرى . أرجو لك حظا سعيدا . » ورحلنا وفى صحبتنا مسافر زائد ، هو أحد الأطباء ، ربما كان يريد أن يعود مريضا فى كريسو أو فى دلف . (علمنا فيما بعد أن الثوار قد اختطفوا زوج هذا البائس ولم يعيدوها إليه إلا بعد أن دفع فدية كبيرة .) وصعدنا فاذا نحن فى أجمل غابة زيتون رأيتها فى حياتى . إنها أشجار الزيتون العتيقة التى تنمو فى ضيعة « الله » والتى ترافع عنها إشين Eschine طويلا فى سالف الزمن . وهى تملأ كل جنبات السهل المقدس ، و إذا رأيتها من دلف أبصرت فيضا من الخضرة الداكنة ، يسيل من سفح الجبل حتى ساحل البحر . وتوقفنا قليلا فى كريسو ، فغادرنا الطبيب دون أن يقول لنا كلمة واحدة بل لم يكد يشكرنا . أما زلنا لدى الحكوميين ؟ أم هل بلغنا الثوار ؟ لا أدرى ! فما سألنا أحد ولا أوقفنا أحد . وسرنا بضعة كيلومترات ثم اخترقنا قرية دلف . وأخيراً وصلنا المكان القديم ، فألفيته أعظم وأروع مما كنت أنتظر .

وقد أثارت الاقامة بدلف فى نفوسنا عواطف لا علاقة لها بالعلم أو بالجمال فقد أتاحت لنا أن نكمل معلوماتنا عن الموقف السياسى الراهن فى اليونان ففى مساء وصولنا حضر لنا حين كنا نتمدد للستريح من عناء اليوم ، رسول من قرية دلف ، وسألنا أنوافق على استقبال وفد من الاندراتس يرغب فى محادثتنا بعد العشاء ؟ فوافقنا طبعا . وكان زوارنا ستة : خمسة من الجنود وواحد من المدنيين .

وكان هذا المدنى القوميسير السياسى للقرية ، وهو فى الخمسين من عمره ، ينم رأسه عن الذكاء والصلابة ، وفى وجهه علائم الصراحة ، ولكن فى كلامه حذر واحتياط . وكان من البين أنه الرئيس الحقيقى . وبقى اثنان من الجنود وقوفا يخرجون ويدخلون ، ثم أمرهما الرئيس بالخروج . ولم أدر ما السبب ، وحسبت أنه أرسلهما ليلحقا بزملائهم . ولكنه قد كان فى الواقع أمرهما بحراسة ما حول البيت حتى لا تفاجئهم زيارة غير منتظرة من قبل خصومهم ، وهذا أمر بعيد الحدوث ولكنه محتمل على كل حال . وجلس الثلاثة الآخرون فى دائرة معنا . وبدأ الحديث ونحن ندخن السجائر ونشرب نبيذ « الرتسينا » résiné فى صحة الجمهورية والديمقراطية . . . وكان الحديث هادئا . ولم يتكلم إلا اثنان : الرئيس السياسى وهو رجل مقتصد فى كلامه لا يتدخل إلا ليصحح عبارة أو يزيدها دقة فى التعبير . أما الرئيس الحربى فهو شاب فى الثلاثين من عمره تقريبا ، وجهه نقى الملامح يدل على العزم ، كلامه مؤكد ، عنيف أحياناً ولكنه مسيطر على نفسه على كل حال . وصمت الآخران ، ولكنهما كانا يصغيان بلذة إلى كلام رئيسهما . وكان أحدهما شاب حدث مغضن الوجه كالشيخ ، يلبس طاقية فوق شعره العجيب المذهب . لم تكن ملامحه مقلقة ولكنه كان يحمل على فخذيه «مترليوزاً» ألمانيا وهو مملوء بالرصاص بلا شك . وكنت أنظر فى قلق إلى ماسورته الموجهة ناحية المائدة التى نجلس إليها ! . . . وأما الآخر فكان له رأس فلاح بديع . لم يكن يرتدى ملابس الجنود ولكنه كان يلبس سترة من جلد الخروف ، ومنطقة وحزاما مليئا بالرصاص . وكانت بندقيته بين رجليه . وكان ب . . . (وهو شاب من أعضاء المدرسة الفرنسية ، يتكلم اليونانية الحديثة بطلاقة) يتبع الحديث فى يسر ، ويتدخل كثيراً ، ولكنه كان يعجز أحياناً عن فهم بعض ما يقال . أما أنا فكنت أصغى أذنىّ ولكنى لم أكن أفهم شيئاً تقريباً . ومن وقت لآخر كان يترجم لى أحد زملائى الحديث ترجمة سريعة مما أتاح لى أن أتتبع الحديث بعض الشئ .

كان أولئك الرجال قد طلبوا لقاءنا لا ليسألونا ولكن ليعقدوا لبعض الأجانب المسافرين مؤتمراً صحفياً بكل ما تدل عليه هذه الكلمة . كانوا يكلموننا فى ثقة وود . ذلك لأنه كان من المفهوم لديهم (وكلام ضابط السفينة يؤيد ذلك) أن كل فرنسى هو « رجل من اليسار » . كان الرئيس العسكرى يتلو علينا درسا محفوظا

ولكنه يقوله باقتناع وتأثر . وكانوا يريدون قبل أن يقنعونا أن يؤكدوا لنا أنهم يونانيون لا بلغار أو يوغسلاف ، وأن يدلونا على الصورة التى يعتقدون أن ذلك الصراع المحزن سينتهى إليها . وبعد أن أكدوا لنا أنهم غير راغبين فى هذا القتال ، كما سبق أن قال لنا الضابط الحكومى الشاب على ظهر المركب ، قالوا إن عفواً عاما قد ينهى تلك الحرب الأهلية ، ولكن ذلك العفو لابد أن يكون عفواً حقيقيا ، أى عفواً منظما ، لا تصدره أحزاب اليمين المتطرفة ، ولا يصدره سوفوليس الذى ليست به أية ثقة ، ولكن تصدره الأحزاب « التى تمثل الشعب اليونانى » أى أحزاب اليسار باستثناء من يتولى الحكم منهم اليوم . وقالوا لنا أيضاً إجابة على أسئلتنا : إنهم جمهوريون ، وأن الكثير منهم شيوعيون ولكنهم لا يمنعون أحداً من الحكم حتى الملك ، ذلك إذا ثبت حقا فى انتخابات حرة أن الشعب يريد أن يبقيه على رأسه وأضافوا إلى ذلك أنه ليس لهم أية ثقة بالحكومة الراهنة ولا بالعفو الذى اقترحته عليهم لأنهم ما زالوا يذكرون فى هلع « حوادث ديسمبر » (١٩٤٤) والخيانة التى كانوا ضحيتها حنذاك ، وأن الحكومة بين أيدى الدول الأجنبية ، وأنها تأتمر بأمر الاستعمار الأمريكى

وأنصتنا لذلك الكلام دون أن نميل إلى أى جانب بل دون أن نحاول إفهامهم وجهة نظر خصمهم (وذلك هو الموقف الذى وقفناه مع الضابط) . ولكن كيف لا يستشعر المرء رحمة عظيمة وهو فى مواجهة هؤلاء الشبان المتحمسين ، المقتنعين ، المخلصين ، الشجعان ؟ هم أيضاً يقاتلون عن اقتناع ، هم أيضاً يقاتلون وعلى رءوسهم الموت ؛ هم أيضاً يستشعرون ما فى هذه الحرب العائلية من تنناعة ؛ هم أيضاً يفهمون فهماً غامضاً أنهم ليسوا إلا بيادق فى رقعة هذا الشطرنج العظيم . ولكنهم يرون أن قدراً لا يدفع يرج بهم فى هذا الصراع ، وهم يخوضونه تدفعهم تلك الشجاعة الهادئة التى يبعثها اليأس . ثم تركونا فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن شربنا معهم نخب الحرية و بعد أن رجونا لهم أن يهب الله لهم الشجاعة والحظ السعيد . ولكن الغم يعتصر قلوبنا . فهؤلاء الذين يغادروننا قوم قضى عليهم بالقتل . فالى أين تقودهم هذه اللعبة القاسية ؟ وفيم يؤملون إذا استثنينا « تلك الحرب العالمية الثالثة » التى يتمنونها فى صميم قلوبهم كما يتمناها خصومهم ؟ إن الشتاء يقترب

وسيضطرهم لمغادرة معاقلهم فى الجبال . فماذا هم صانعون ؟ إنهم يشيعون القلق والفزع أحياناً فى القرى التى يهبطونها ليلا . وهم يضطرون الفلاحين للانضمام إليهم . ولتقديم الطعام لهم من زراعاتهم الضعيفة . ثم يأتى رجال الجندرمة فى اليوم التالى فيحققون ويسجنون أولئك الذين اتصلوا بالثوار . . . وهذا ما قاله لنا كروسو حارس الآثار الذى عين الثوار أخاه منذ قليل عمدة لاحدى القرى فلم يستطع أن يرفض . ولكن سيأتى يوم يرسل فيه الحكوميون حملة انتقامية إلى هذه الأماكن ، وعندئذ سيضطر إلى ترك أرضه وامرأته وأطفاله . . .

الأربعاء ٢٤ : استيقظنا مبكرين لنتمكن من رؤية المكان بالتفصيل ، ثم ركبنا السيارة حوالى الساعة الحادية عشرة لنصل أثينا قبل الليل . لم يبق أمامنا إلا مائتا كيلومتر . ولكنه ياله من طريق ! . . ورغم ذلك فان السيارة تطمئننى ؛ فهى « لنكولن » قوية جديدة من الطراز المكشوف وقد تكومنا فيها : عشرة مسافرين من بينهم احد أهالى دلف ، اتخذ مكانه على سلمها رافعاً علما أبيض ، ومن بينهم أيضاً امرأة من دلف توسلت إلينا أن نوصلها إلى العاصمة لتعالج ولدها المريض ولم يكن بد من إجابة رجائها .

وبدأت الرحلة بدءا حسناً . والطريق جميل حتى قرية أراكوفا حيث وصلنا وشيكا بعد أن حيينا كاستالى ومارماريا ، وبعد أن سرنا حذاء سفوح البارناس المتعرجة . ويتكلم الدليل الأزرق عن هذه القرية كما يتكلم عن موقع جميل جدا . وهى حقا معلقة فوق هوة وفى وسطها قبة مبنية على صخرة منعزلة . فاذا نظر إليها من بعد بدت ظاهرة الجمال . فما إن اخترقناها حتى شعرنا بوحشة عظيمة : منازل محترقة ، محطمة ، منهوبة مكسرة .

صمت الوحدة يعم المكان . ليس هناك إلا عدد قليل من السكان على أعتاب أبوابهم يرقبوننا ، وفى نظراتهم مزيج غريب من التطلع والتهديد والقلق . ووقف سائقنا فى الميدان الرئيسى ، وتفاوض طويلا مع بعض الناس . ولم ننبس بكلمة وتركنا له الكلام . وأخيراً مررنا . واخترقنا الميدان الرئيسى للثوار . ثم سرنا إلى ليفاديا أهم مدينة فى بويسى Béothie حيث عدنا إلى الحكوميين ودخلناها بعد ساعات دون أية صعوبة . هناك عدد كبير من الجنود متجمعين أمام مدخل المدينة ، ولكن يبدو عليهم عدم الاهتمام بسؤالنا رغم

مجيئنا من منطقة الثوار. وهكذا نصل ببساطة إلى وسط المدينة المزدحمة، حيث ينزل فلاح دلف الذى وضع علمه داخل العربة، إذ لم تعد له قيمة، ثم دخل حظيرة سيارات: . . . لم نسأل إلا عند مخرج ليفاديا. أوراقنا مستوفاة. ومرّ هذا التفتيش كما مر كل تفتيش آخر تعرضنا له قبل وصولنا إلى العاصمة، بلا صعوبة حقيقية. فكلمات « المدرسة الفرنسية » تلوح كأنها كلمة سحرية تفتح أمامها مغاليق الأبواب. وليست جنسيتنا الفرنسية هى التى تمنحنا كل هذه المزايا فى هذه المرة، بل كان يمنحنا إياها كوننا علماء آثار. فأولئك الحمقى الذين يقضون وقتهم — فى مثل هذا الزمن — فى رؤية أحجار قديمة، لا بد أن يكونوا مسالمين. . . ونحن حقا مسالمون! ستستمر رحلتنا بلا عائق ولا حادث حتى أثينا حيث نصلها عند هبوط الليل.

برنار هوبوده

نقلها عن الفرنسية مصطفى كامل فوده